

الفصل الثالث عشر

المبادئ الأساسية في مناهج التربية الإسلامية :

obeykandi.com

لم تكن المناهج محدودة مقيدة بساعات معينة لكل مادة فى الأسبوع كما هى اليوم فى مدارسنا ، ولكنها كانت عامة بحيث يترك للمعلم أو للمؤدب الحرية فى اختيار الكتب والمواد التى يدرسها للناشئين .

ذات مرة رأى المفضل بن زيد ٠٠٠ ابن اعرابية مسلمة ، فأعجب بمنظره فسألها عنه فقالت : « اذا أتم خمس سنوات أسلمته الى المؤدب فحفظ القرآن فتلاه فعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخرة قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرس وتفرس ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحى وأصغى الى صوت الصارخ » .

ومن اجابة تلك الأم العربية المسلمة نرى أن الطفل كان يسلم للمؤدب وعمره خمس سنوات - وليس معنى هذا أن التعليم يبدأ فى الخامسة من العمر - فيحفظه القرآن الكريم بعد أن يعلمه طبعاً القراءة والكتابة وبعد اجادة حفظه يعلمه الشعر ورواية الشعر ، ويرغبه فى دراسة تاريخ آبائه وأجداده وقومه والبحث عن مآثرهم ومفاخرهم حتى يبلغ الحلم فيتمرن على ركوب الخيل ويتعلم الفروسية واستعمال السلاح فاذا أجاد هذه الفنون الحربية ومهر فيها مشى بين بيوت حيه وقبيلته وأصغى الى صوت الصارخ ليعمل على انقاذه واغااثته .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه المنهاج الآتى ، وأرسله الى الولاية من المسلمين ، وقال لهم : «أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر ، فعمر يأمر بتعليم الأولاد السباحة والفروسية والرماية وما سار من المثل وحسن من الشعر . ونعتقد أنه حث على دراسة السباحة والعلوم والرياضة البدنية والأمثال العربية المشهورة والشعر العذب الجميل بعد معرفة مبادئ الدين الاسلامى وحفظ القرآن الكريم ودراسة الحديث الشريف .

وقد ذكر ابن سينا فى كتاب السياسة آراء ثمينة فى تربية الأولاد ونصح بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً للتعليم . وفى الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة ويدرس قواعد الدين ثم يروى الشعر ويبتدىء بالرجز ثم القصيدة لأن رواية الرجز أسهل وحفظه أيسر اذ أن أبياته أقصر ووزنه أخف . على أن يختار له

أحسن الشعر مما قيل فى فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وما حث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف ... فإذا فرغ الصبى من حفظ القرآن الكريم وألم بأصول اللغة العربية نظر عند ذلك فى توجيهه وإرشاده الى ما يلزم طبيعته واستعداده .

وفى تلك النصيحة الأخيرة وهى توجيه المتعلم الى ما يناسب ميوله وطبيعته واستعداده تتمثل روح التربية الحديثة فى عصرنا هذا . فان علماء التربية اليوم ينادون بمراعاة استعداد المتعلم ورغبته فى الدراسة بحيث يوجه الى الناحية العلمية أو العملية أو الأدبية أو الرياضية أو الدينية أو الاجتماعية أو الفنية التى يميل اليها ويرغب فيها حتى ينجح نجاحا باهرا فى دراسته .

وكان ابن التوام يقول : « من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتاب (أى الكتابة) والحساب والسباحة » وكان تحفيظ القرآن الكريم نقطة رئيسية فى التعليم الأولى بالكتاتيب .

وقد أوصى الغزالي بتعليم الطفل القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم ثم بعض الأحكام الدينية والشعر الحالى من ذكر العشق وأهله (١) .

وأضاف ابن مسكويه (٢) مبادئ الحساب وقليل من قواعد اللغة العربية .

وقد وضع الجاحظ منهاجا مفصلا (٣) ذكر فيه : « ولا تشغل قلب الصبى بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام فى كتاب ان كتبه وشعر ان أنشده وشئ ان وصفه ما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به كرواية الخبر الصادق والمثل الشاهد والمعنى البارع . ويعرف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة ويعلم كتابة الانشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة ويحذر التكلف ويحثه - فى قراءة البلغاء - أن يستفيد المعانى « الالفاظ » .

وتعد كلمة الجاحظ ثمينة فيما اشتملت عليه من آراء نعتها اليوم حديثة فى عالم التربية فهو يقصد من دراسة النحو القدرة على القراءة الصحيحة والكتابة الصحيحة والكلام الصحيح ولا يريد التوسع فى

(١) الاحياء للغزالي ج ٢ ص ٥٧ .

(٢) فى كتاب تهذيب الاخلاق صفحة ٢٠ .

(٣) فى رسالة المعلمين ص ١٢ - ١٤ .

دراسته حتى لا يشغل الصبى عن دراسة التاريخ والامثال العربية ويرى الاكتفاء بالحساب للاحتياج اليه فى الحياة العملية وفى الانشاء ينصح بمراعاة العبارة العذبة السهلة الخالية من التكلف وفى المطالعة يحثه على الاستفادة من المعانى والآراء والافكار .

منهج المرحلة الاولى من التعليم الاسلامى :

ان المواد الاساسية التى كانت تدرس للاطفال فى المرحلة الاولى من تعليمهم هى بوجه عام : القرآن الكريم ومبادئ الدين والقراءة والكتابة والحساب ودراسة اللغة العربية ورواية الشعر الخلقى واجادة الخط ومعرفة القصص العربية والتمرن على السباحة والفروسية .

وكان لأبناء الامراء منهج يختلف بعض الاختلاف عن هذا المنهج العام فكانت هناك عناية خاصة باعدادهم للحياة التى تنتظرهم فتعلموا الخطابة ودرسوا التاريخ وخاصة تاريخ الملاحم وأدب مجالسة الناس مع العناية بالمواد الاساسية التى ذكرناها من قبل .

وقد نصح هشام بن عبيد الملك لمؤدب ولده أن يعلمه كتاب الله والشعر الجيد والخطابة وتاريخ الملاحم ويعنى بتعليمه الاخلاق ويروضه على مخالطة الناس لكسب التجارب وفهم مختلف الطبائع .

وليس فى هذا المنهج الخاص ما ينافى الديمقراطية ولكن فيه عناية باعدادهم للحياة وتربيتهم تربية تنمى ذوقهم الادبى وتعودهم الارتجال والمناظرة وتبث فيهم الشجاعة والخلق الكامل وتعودهم الاختلاط بالشعب والاتصال به ودراسة أحواله الاجتماعية وفهم طباع الناس وميولهم ورغباتهم . وهذه هى الديمقراطية الحقة فى الاسلام فالحاكم ليس فى عزلة عن الشعب ولا يعيش بعيدا عنه ولكنه متصل بأفراده كل الاتصال ويعرف كل شئ يتعلق بهم ، يفرح لافراحهم ، ويحزن لآحزانهم ، ويعمل لازالة ما يلحقهم من أذى أو ضرر .

وقد أشار ابن خلدون الى أهمية تحفيظ الاطفال القرآن الكريم وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم فى جميع المناهج الدراسية فى مختلف البلاد الاسلامية لانه شعار من شعائر الدين يؤدى الى رسوخ الايمان .

ففى الوقت الذى تنوعت فيه المناهج الدراسية واختلفت باختلاف

فعنى بعضها بتدريس الحساب والالعاب الرياضية كالعلوم والسباحة والفروسية واهتم بعضها باجادة الخط ودراسة الادب والشعر والنحو ، وبعضها بدراسة الحديث الشريف وقوانين العلوم - أجمعت البلاد الاسلامية كلها وأجمع المسلمون على العناية بتعليم القرآن وحفظه فى كل منهج من المناهج .

بماذا يمتاز المنهج فى المرحلة الاولى من التعليم الاسلامى ؟

ان من يدرس المناهج التى كانت متبعة فى الامبراطورية الاسلامية المختلفة البلدان يلحظ أنها فى المرحلة الاولى كانت تمتاز بما يأتى :

١ - كان الاتجاه فى المنهج دينيا فقد كان الطفل يتعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم يبدأ بحفظ القرآن الكريم ومعرفة قواعد الاسلام . وقد كان غرض فلاسفة الاسلام من تحفيظ القرآن التبرك بأئمن كنز الهى واعظم ثروة روحية فى هذا العالم . وقد ساعد الاطفال فى حفظه التأثير بأسلوبه العذب الجميل وعباراته الموسيقية المعجزة القوية وحكمه وآدابه المنطقية وقصصه المؤثرة ووصاياه الثمينة النادرة . ولو أنهم لم يستطيعوا فهم معنى السور التى يحفظونها من القرآن لصغر سنهم وقلة ادراكهم . وانتفعوا بالذاكرة القوية والحفظ الآلى فى الصغر . ولا عيب فى هذا ففى استطاعتهم أن يعرفوا تفسيره حينما تكبر سنهم ويزداد ادراكهم ويقوى عقلهم . ولو وجد عدد كاف من المدرسين الماهرين الممتازين فى الكتابيب والمدارس الاسلامية لاستطاعوا بسهولة تفهيم الاطفال المعانى المقصودة من الآيات القرآنية قبل أن يحفظوها حتى يسهل عليهم الحفظ والتذكر .

٢ - العناية التامة بالتربية الخلقية فى تلك التربية وقد وفق علماء التربية من المسلمين كل التوفيق فى هذا الاتجاه وتركوا أثرا تربويا خالدا فى التربية الاسلامية وبرهنوا بأقوالهم وأفعالهم على بعد نظرهم وسداد آرائهم . وهى آراء لا نبالغ اذا قلنا انها تتفق مع آراء علماء النفس المحدثين فى القرن العشرين وقد وضحنا هذا فى الفصل الخاص بالتربية الخلقية فى الاسلام .

٣ - كما عنى المسلمون بالناحيتين الدينية والخلقية فى المرحلة الاولى من التعليم لم ينسوا العناية بالنواحي النفعية فى المنهج فعنوا بالشعر واللغة العربية وحسن الكلام والحساب والتاريخ والسباحة والرماية والرياضة البدنية ولكنها لسوء الحظ لم تكن عامة فى جميع المناهج بالبلاد الاسلامية .

٤ - خاف المسلمون من التربية الجمالية والفنون الجميلة فى مرحلة

الطفولة فقد عدوا الموسيقى والرسم والحركات التوقيعية وأشعار الغزل والعشق مضرّة بأخلاق الاطفال ولهذا حاولوا ابعادها عنهم فى طفولتهم ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر ما خلفه الاسلام من الاثر فى النواحي الدينية والحلقية والثقافية والرياضية والعلمية والمثالية فى منهج التعليم الاسلامى بالمرحلة الأولى وهى مرحلة تشمل التعليم الابتدائى والمتوسط أو الابتدائى والثانوى معا .

كيف كان منهج التربية فى المرحلة العالية ؟ .

ان من ينظر الى التربية والتعليم فى تلك المرحلة فى العالم الاسلامى يجد أن المنهج نوعان : (١) منهج دينى أدبى و (٢) منهج علمى أدبى . ولنتكلم عن كل منهما فنقول :

١ - فى الوقت الذى اختير فيه المنهج الأول وهو الدينى الأدبى كان العالم الاسلامى يفكر فى معرفة الدين الاسلامى وحفظه ونشره فعنى العلماء بدراسة الدين والمواد التى لها صلة به كالحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية والشعر العربى وعلم التاريخ لأنها تساعد فى فهم معانى القرآن الكريم ودراسته وتعين على تذوق الأدب العربى ومعرفة المواد الاجتماعية الانسانية .

١ - المنهج الدينى الأدبى :

لتوضيح هذا المنهج نذكر هنا بعض الأمثلة للدراسات الدينية الأدبية :

(١) فى كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى (ص ١٢٠-١٢١) قيل ان رجلا من ثقيف دخل على الوليد فقال له الوليد : أقرأت القرآن ؟

قال الاعرابى : لا يا أمير المؤمنين شغلتنى عنه أمور وهنات .

قال الوليد : أفتعرف الفقه ؟ .

قال الاعرابى : لا .

قال الوليد : أفرويت من الشعر شيئا ؟ .

قال الاعرابى : لا . (وكان الوليد يلعب الشطرنج مع عبد الله ابن معاوية وكان قد اخفى الشطرنج بالمنديل عند دخول الاعرابى) فكشف الوليد المنديل عن الشطرنج وقال : (شاهك) فقال عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين .

قال الوليد : اسكت فما معنا أحد » .

ومعنى هذا أن من لم يقرأ القرآن ولم يعرف الفقه ويرو الشعر ولم يدرس الدين والأدب لا يعتد به ولا يفكر فيه أحد ويعد كالعدم لا وجود له .

(ب) وفى معجم الأدباء لياقوت (١) : قال ابن عتاب : يكون الرجل نحويًا عروضيًا حسن الكتاب (أى الكتابة) جيد الحساب حافظًا للقرآن راوية للشعر وهو راض بأن يعلم أولادنا بستين درهما . ويقصد بهذا أن الرجل قد يكون مثقفًا عالمًا بالنحو والعروض جيد الكتابة مجيّدًا للحساب حافظًا للقرآن الكريم راوية للشعر العربى مثقفًا ثقافة دينية أدبية ثم يرضى أن يقوم بالتدريس لأولادنا بستين درهما لأن المعلمين كانوا يعدون مهنة التعليم روحية مقدسة يعلمون النشء ابتغاء مرضاة الله لا يقصدون أجرا ولا يفكرون فى مال لزهدهم وتقواهم وقليل منهم كان يأخذ أجرا زهيدا كستين درهما ليستعين بها على الحياة .

(ج) وقد وضع المقرئ فى كتابه نفح الطيب الدراسات التى اهتم بها المسلمون فى الأندلس فقال :

« وقراءة القرآن عندهم بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة ولفقه رونق ووجاهة . . وسمعة الفقيه عندهم جليّة . . وقد يقولون للكاتب النحوى واللغوى فقيه لأنها عندهم أرفع السمات . وعلم الأصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة . . وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم من الازدراء . . وعلم الأدب المنتور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستطرفات الحكايات أنبل علم عندهم وبه تقترب من مجالس ملوكهم وأعلامهم » والشعر عندهم له حظ عظيم .

ومن هذا النص نرى أن المسلمين فى الأندلس كانوا يعنون كل العناية بالثقافة العالية ويشجعون الطلبة على التعمق فى البحث ، وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث ودراسة الفقه والنحو واللغة والأصول والأدب ويشمل معرفة التاريخ والنظم والنثر والقصص الطريفة ، وهى كلها دراسة دينية أدبية ترفع صاحبها وتجعل له منزلة سامية بين الملوك والأعلام .

(د) وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : من تعلم القرآن عظمت قيمته

(١) ج ١ ص ٢٢ طبعة مصر ١٩٢٣ .

ومن نظر فى الفقه نبيل قدره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر فى اللغة رق طبعه ومن نظر فى الحساب جزل رأيه .

(هـ) وقد درس ابن قتيبة النحو وعلم المفردات والقرآن والتفسير والشعر .

(و) ولخص الخوارزمى - فى كتاب مفاتيح العلوم - المنهج الدينى الأدبى فيما يأتى :

- ١ - علم الفقه .
- ٢ - علم النحو .
- ٣ - علم الكلام .
- ٤ - الكتابة .
- ٥ - العروض .
- ٦ - علم الاخبار وخاصة تاريخ الفرس والتاريخ الاسلامى وما قبل الاسلام . وتاريخ الاغريق والرومان .
- ٧ - الحساب فى كثير من الاحوال .

المنهج العلمى الادبى فى المرحلة العالية من الدراسة :

يختص هذا المنهج بالمرحلة التى تقدم فيها التفكير الاسلامى وظهرت الحرية فى التفكير واتسع مجال البحث ونهضت العلوم فى جميع النواحي العلمية والادبية وازداد النشاط العلمى والفلسفى فى الامبراطورية الاسلامية فأنشئت دور العلم وأُسست دور الحكمة فى القاهرة وبغداد ودرس مع العلوم العربية من دين ولغة وتاريخ - العلوم الرياضية والطبيعية والطبية والفلسفية وترجمت العلوم من اللغات الاغريقية والفارسية والهندية الى اللغة العربية . وانتشرت تلك العلوم التى ترجمت الى لغة العرب فى بلاد العالم الاسلامى القريية والبعيدة وحدثت نهضة علمية وفكرية كبيرة وازداد نشاط العلماء فى الترجمة والتأليف والبحث فى المواد العلمية المختلفة . وتمتد تلك المرحلة من منتصف القرن الثانى الهجرى الى نهاية القرن الرابع الهجرى حيث بلغت النهضة ذروتها فى التقدم .

قال مونرو في كتابه تاريخ التربية ص ٣٣٣ : « ففي الطب والجراحة وعلم الادوية والفلك وعلم وظائف الاعضاء - وصل المسلمون الى ابتكارات هامة ٠٠٠ واخترعوا ساعة البندول ٠٠٠ وعلموا أوروبا استعمال البوصلة والبارود فأثر علماء الاسلام في النهضة العلمية لا يستطيع أن ينكره الا كل مكابر متعصب »

ومن الامثلة الآتية تتضح مميزات المنهج العلمي الادبي .

١ - فقد درس أبو اسحق الكندي فيلسوف الاسلام الطب والرياضة والشعر والمنطق والفلسفة والموسيقا في القرن الثالث الهجري .

٢ - ودرس ابن سينا القرآن والعلوم الاسلامية والعلوم الفلسفية والعلوم الطبيعية والطب والمنطق والشعر والحساب والهندسة والجبر .

٣ - ودرس أبو علي الحسن ابن الهيثم - الذي كان يقيم بمصر - علم الالهيات والحساب والهندسة والجبر والطب والفلسفة وفروع العلوم المختلفة وهو العالم الطبيعي والمهندس الرياضي ومؤسس علم الضوء (١) .

قال ابن الهيثم : اشتهيت ايثار الحق وطلب العلم واستقر عندي انه ليس ينال الناس من الدنيا شيئا أجود ولا أشد قربة من الله من هذين الامرين . فخضت لذلك في ضروب الآراء والاعتقادات وأنواع العلوم والديانات فلم أحظ من شيء منها بطائل . . . فرأيت أنني لا أصل الا عن آراء يكون عنصرها الامور الحسية وصورتها الامور العقلية . . . فلما تبينت ذلك أفرغت وسعى في طلب علوم الفلسفة وهي ثلاثة : علوم رياضية ، وطبيعية . . . والهيبة . . . »

٤ - وفي الاندلس كانوا يجمعون بين العلوم الرياضية والطب والمواد الادبية مع الاقلال من الاهتمام بالعلوم الطبيعية .

٥ - وقد بن محمد بن موسى الخوارزمي العالم في كتابه (مفاتيح العلوم) في القرن الرابع الهجري أنواع العلوم غير الاسلامية ولخصها فيما يأتي :

(أ) العلوم الطبيعية : وتشمل الطب بفروعه : التشريح ، وعلم تشخيص الامراض ، وعلم العقاقير والعلاج والتغذية . . . ثم علم المعادن والمناجم والنبات والحيوان وكيمياء تحويل المعادن الى ذهب .

(١) ٣٥٤ هـ - ٤٣٠ هـ .

(ب) العلوم الرياضية : وتشمل الحساب والهندسة والجبر وعلم الفلك
والموسيقا والميكانيكا وعلم الآلات الرفاعة ...

(ج-) المنطق •

٦ - وان من يطلع على رسائل اخوان الصفا وما فيها من الرسائل
الرياضية التعليمية والرسائل الجسمانية الطبيعية والرسائل النفسانية
العقلية والرسائل الناموسية والالهية والشرعية والدينية يرى بوضوح
مقدار العظمة الفكرية والنشاط العقلي لدى علماء الاسلام فى القرن الرابع
الهجرى •

وقد أشار الاستاذ براون فى كتابه « الطب العربى (١) » الى قصة
«تودد الجارية» التى دونت فى كتاب ألف ليلة وليلة وهى حقا تدل على
التعمق فى البحث والتوسع فى العلم أيام عظمة الامبراطورية الاسلامية •

وان نظرة واحدة الى تراجم علماء المسلمين كالفهرست لابن النديم
وتاريخ الحكماء لابن أبى أصيبعة وتراجم القفطى ووفيات الاعيان لابن
خلكان ومعجم الادباء لياقوت ترينا بوضوح أن كثيرين من المسلمين قد
درسوا المواد العلمية فى جميع البلاد الاسلامية ولكن عدد من درسوها
كانوا أقل ممن درسوا العلوم الدينية والادبية •

وباستعراض المناهج فى المرحلة العالية نستنبط ما يأتى :

١ - ان عناية المسلمين بالدراسات الدينية كانت كبيرة وسابقة
للدراستات الاخرى •

وكان من رأى الفارابى وابن سينا واخوان الصفا أن الكمال الانسانى
لا يتحقق الا بالتوفيق بين الدين والعلم •

٢ - أن الميل الى دراسة الادب والعلوم والانسانية كان اكثر من
الميل الى الدراسات العلمية •

٣ - ان المنهج العلمى الادبى فى المرحلة العالية كان يمتاز بالتوسع
فى معرفة كثير من العلوم والمواد الانسانية • فكان الغرض الاول من
التربية الاسلامية وجدانيا قبل أن يكون عقليا • وكان طلبة الطب يدرسون
مع فروعها المختلفة العلوم الطبيعية والرياضية والمنطق والنحو والشعر
العربى وبعض العلوم الاسلامية لان التخصص كان قليلا •